لان الشمس احسن ما تكون في وقتيها هذين ومن ذلك ايضا قول قيس
صفرا اعجلها الشباب لداتها موسومة بالحسن غير قطوب ومثله قول الاعشى
اذا جردت يوما حسبت خميصة عليها وجريال النضير الدلامصا
الخميصة ثوب ناعم لين شبه به نعمة جسمها والنضير الذهب والجريال كل صبغ احمر وانما
يعني لون الطيب عليها والدلامص البراق فهذا وجه والوجه الثاني ان يكون
اراد بوصفها بالصفرة لرقة لونها فعندهم ان المراة اذا كانت صافية اللون رقيقة
ضرب لونها بالعشي الى الصفرة قال مهدي بن علي بن مهدي الاصبهاني قال
لي ابي قال لي الجاحظ زعموا ان المراة اذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب
لونها بالغداة الى البياض وبالعشي الى الصفرة واحتج في ذلك بقول الراجز
قد علمت بيضا صفرا الاصل وزعم ان بيت ذي الرمة الذي انشدناه من هذا
المعنى وكذلك بيت الاعشى الذي انشدناه والابيات محتملة للامرين فاما الذي
لا يحتمل الا وجها واحدا فهو قول الشاعر وقد خنقتها عبرة فدموعها
على خدها حمر وفي نحرها صفر فانها لا تكون صفرا في نحرها الا لاجل الطيب
فاما قوله على خدها حمر فانما اراد انها تصبغ بلون خدها والوجه الثالث
ان يكون المراة كانت صفرا على الحقيقة فان بشارا كثيرا ما يتشبب بامراة صفرا كقوله
اصفر لا انسى هواك ولا ودي ولا ما مضى بيني وبينك من عهد وقوله
لقد كان ما بيني زمانا وبينها كما كان بين المسك والعنبر الورد وكذلك
اصفر كان الود منك مباحا ليالي كان الهجر منك مزاحا
وكن جواري الحي اذ كنت فيهم قباحا فلما غبت صرن ملاحا وقد روي ملاحا
فلما غبت صرن قباحا وقوله قباحا فلما غبت صرن ملاحا يشبه قول السيد الحميري
واذا حضرت مع الملاح بمجلس ابصرتهن وما قبحن قباحا فاما قوله من البيض
لم تسرح سواما فانه لا يكون مناقضا لقوله صفرا وان اراد بالصفرة لونها لان
البياض ههنا ليس بعبارة عن اللون وانما هو عبارة عن نقا العرض وسلامته من
الادناس والعرب لا تكاد تستعمل البياض الا في هذا المعنى دون اللون لان البياض
عندهم البرص ويقولون في الابيض الاحمر ومنه قول الشاعر جات به بيضاء تحمله

من

من عبد شمس صلتة الخد ومثله بيض الوجوه فاما قول بشار في القطعة الثانية
وصفرا مثل الخيزرانة فانه يحتمل ما تقدم من الوجوه وان كان باللون الحقيقي
اخص لقوله كالخيزرانة لان الخيزران يضرب الى الصفرة ويحتمل ايضا ان يريد
بصفرا غير اللون الثابت ويكون قوله كالخيزرانة انها مثلها في التثني والتعطف
ولقد احسن جران العود في قوله في المعنى الذي تقدم كان سبيكة صفرا صبت
عليها ثم ليث بها الازار برود العارضين كان فاها بعيد النوم مسك مستشار

مجلس اخر تاويل اية ان سال سايل عن قوله تع الله يستهزئ بهم ويمدهم
في طغيانهم يعمهون فقال كيف اضاف الاستهزا اليه وهو ممن لا يجوز في الحقيقة عليه
وكيف خبر بانه يمدهم في الطغيان والعمه وذلك بخلاف مذهبكم الجواب
قلنا في قوله تع الله يستهزئ بهم وجوه اولها ان يكون معنى الاستهزا الذي اضافه
تعالى الى نفسه تجهيله لهم وتخطيته اياهم في اقامتهم على الكفر واصرارهم على
الضلال وسمى الله تع ذلك استهزا مجازا وتشبيها كما يقول القايل ان فلانا
ليستهزا به منذ اليوم اذا فعل فعلا عابه الناس به وخطوه فيه فاقيم عيب الناس
على ذلك الفعل وازراوهم على فاعله مقام الاستهزا به وانما اقيم لتقارب ما
بينهما في المعنى لان الاستهزا الحقيقي هو ما يقصد به الى عيب المستهزا به
والازرا عليه واذا تضمنت التخطية والتجهيل والتبكيت هذا المعنى جاز
ان يجري عليه اسم الاستهزا ويشهد بذلك قوله تع وقد نزل عليكم
في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها ونحن نعلم ان الايات
لا يصح عليها الاستهزا على الحقيقة ولا السخرية وانما المعنى اذا سمعتم ايات الله
يكفر بها ويزرا عليها والعرب قد تقيم الشي مقام ما قاربه في معناه فيجري عليه
اسمه قال الشاعر كم اناس في نعيم عمروا في ذرى ملك تعالى فبسق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق والسكوت والنطق
على الحقيقة لا يجوزان على الدهر وانما شبه تركه الحال على ما هي عليه بالسكوت
وشبه تغييره لها بالنطق وانشد الفرا ان دهرا يلف شملي بجمل
لزمان يهم بالاحسان ومثل ذلك في الاستعارة لتقارب المعنى قول

مقامه